التمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيِّد الأوَّلين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد؛

فهذه خواطر تتمحور حول النظرة إلى الأشياء بمنظار يسعى إلى معالجة ما يبدو أنَّه استهتار في التعامُل، بما في ذلك سوء استغلال الإمكانات المادِّية والعلمية والفكرية، ممَّا يمكن أنْ يدخل فيما يسمَّى بالعبث بما له صلة بالمُثُل والقِيَم والسلوكيات المتعارَف عليها ثقافيًا، أو دوليّاً أو إقليميَّاً أو محليَّاً، دون إعطاء اعتبار لمشاعر من تعنيهم هذه المُثُل والقِيَم، أو المتلقِّين لها، أو الداعين إليها. بل إنَّه ربَّما ينظر إلى أنواع من العبث على أنَّها مقصودة؛ لجرح مشاعر المعنيين بها. وينظر إلى بعضها على أنَّها ترجمةٌ للتمرُّد أو الاستهتار من أوضاع قائمة على موروث شعبي محلِّي، لا يتَّفق، بالضرورة، مع معطيات حضارية يريد المجتمع أنْ يلحق بها.

من هذا المنطلق تأتي هذه الوقفات حول ثقافة العبث في الأفكار وفي السلوكيات. وكان أصلها إسهاماتٍ في الصحافة

السعودية، في مُدد مختلفة، جمعها جميعًا ما ظهر عليها من التركيز على العبث في النظرات والممارسات، تيسَّر جمعها في هذا الكتاب، بعد أنْ جرى عليها قدرٌ لا بأس به من المراجعة وإعادة التحرير، وتحديث المعلومات، وتوثيقها من مصادرها، التي سبق الاستئناس بها.

ليس المقصود بالفاقة الفقر والعوز الجانبَ المادِّي فحسب، بل المقصود الفاقة بشموليَّتها هنا، بحيث تشمل الخواء الروحي والعوز النفسي والتربوي والاجتماعي. وهذا يعني أننا نعيش هذه الفاقات، رغم أنَّنا لا نتعايش معها، وننكرها نظريًا. ومن ثمَّ جاء ت المعالجة نقدًا اجتماعيًا لمظاهرَ لا ينبغي أنْ تكون في الأحوال العادية، فما بالك بأحوال الفاقة والعوز، بالمفهوم الشامل للفاقة والعوز. ولقد حاولتْ هذه الوقفات أنْ تتجنَّب الأسلوب الوعظي والنظرة المثالية المجرَّدة، رغم أنَّها لا تتبرَّأ منهما، إذ تجنُّب الوعظ والمثالية يرمي إلى التوكيد على عدم تأهيل هذا الكاتب لهذا النمط من الطرح.

ظهر على المعالجات اختلاف جذري في طريقة المعالجة في هذه الوقفات، بحيث لا تخدش مشاعر العابثين، الذين خدشوا مشاعر من استُهدِفوا من هذه الممارسات العبثية. إذ إنَّ خدش مشاعر المستهدفين لا يستدعي، بالضرورة، المعاملة بالمثل، فالعدل والقسط مطلوب في هذه المواقف، لاسيَّما عندما يتعلَّق الطرح

بالتعميم في إطلاق الأحكام، فالعابثون لا يمثِّلون، بالضرورة، غيرَهم ممَّن يلتقون معهم ثقافيًا وفكريًا. وفي بعض الحالات لا يكوِّن العبث ظاهرة مجتمعية أو ثقافية، يمكن الاستدلال بها على عبث المجتمع أو الفكر.

تجنَّبت هذه الوقفات، أيضًا، الخوض في المفهومات، ومنها مفهوم الثقافة، الذي نال قسطًا وافرًا من التعريف، فاق المئتي محاولة، ومن ذلك الافتتان بالكلمة، بحيث أضحت كلمة "ثقافة" تطلق على معظم ما يمثِّل ظاهرةً فكرية أو سلوكية سائدة، فقيل ثقافة الحوار، وثقافة الجوَّال، وثقافة التدخين، وهي، هنا، أقرب ما تكون إلى الأدب، بالمفهوم الأشمل للفظة أدب. ولعلَّ القارئ يستنتج من هذه الإلصاقات أنَّ هناك إحلالاً للثقافة محلَّ الأدب، أي أنَّ مصطلح الثقافة قد حلَّ مكان مصطلح الأدب، ، ذلك المفهوم الذي عرَّفه أسلافنا، من أهل الأدب، "الثقافة" بأنَّه: الأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف. والمطلوب من مثقَّف اليوم أن يكون أديبًا، أي أن يأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف.

جاءت هذه الوقفات على قسمين؛ تركَّز القسم الأوَّل، عشرين وقفة، على العبث في العلوم والآداب والفنون، وتركَّز القسم الثاني، في عشرين وقفة أخرى، على العبث في السلوك الاجتماعي العامِّ.

إذ أقدِّم هذه الوقفات للقارئ الكريم، لا يفوتني في هذا التمهيد أنْ أشكر كلَّ من أسهم معي في السعي إلى استقامتها، فكرًا وأسلوبًا، وأخصُّ بالشكر والامتنان أخي الشيخ يوسف بن إبراهيم النملة على وقفته النقدية، وإسهامه في تصويب بعض الطروحات التي وردت في هذه الوقفات. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم النملة

الرياض

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م